# The art of anacoluthe in Surah AL-Mayidah Rhetorical analytical education

**Dr. Ibrahem Al-bab***
**Hanan Ibrahem****

**(Received 29 / 11 / 2018. Accepted 1 / 7 / 2019)**

## □ ABSTRACT □

There were many methods of linguistic use in the Holy Quran, with a variety of rhetorical and expressive purposes. Some of these methods require careful consideration, and the precise contemplation of the relationships that form the divine meaning and purposes in different levels (verbal relations, semantic relationships, rhythmic, contextual, and other).Anaclothe style one of those methods that establishes rich relationships at all textual levels, and this method has a strong and influential presence in the holy Quran, because it converts the transmission of language formats ( speak, the speech, absent), and change them in accordance with the requirements of the situation, and the rhetorical purposes behind them, it thus removes the linguistic text from the stereotypical dialogue, and breaks the expectations horizon of the receiver – direct and indirect- each according to its location from the message contained in that text

The search will stand on the anacoluthe style in SuratYunus, trying to monitor stylistic variations, and the dialogue in the linguistic text in the Surat, it effects of it in the clarification of rhetorical purposes and divine purposes, and communicating it to the recipient in an expressive way that controls thought, and draw attention to the contemplation of linguistic aberrations, and the new textual relations resulting from this deviation or the so-called exit in the appropriate apparent.

**Keywords**: Surat AL-Mayidah, the art of anacoluthe, deviation of style, Linguistic methods (Speak, the speech, Absent), Context.

*Professor in, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen Universety, Syria.
**Ph.D. Student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen Universety, Syria.

# فنّ الالتفات في سورة المائدة
# دراسة بلاغيّة تحليليّة

**د. إبراهيم البب** *

**حنان ميكائيل إبراهيم** **

**(تاريخ الإيداع 29 / 11 / 2018. قبل للنشر في 1 / 7 / 2019)**

## □ ملخّص □

أسلوب الالتفاتِ واحدٌ مِن أساليب الاستعمال اللّغويّ في اللّغة العربيّة، تَعدّدَت أغراضُه البلاغيّة والبيانيّة في القرآن الكريم، لِذا فإنّه يَحتاجُ إلى إنعام النّظر، والتّأمّل الدّقيق في العلاقات المكوِّنَة للمعاني والمقاصد الإلهيّة على اختلافِ مستوياتِها (العلاقات اللّفظيّة، والدّلاليّة، والإيقاعيّة، غيرها)، وهو مِن الأساليب الّتي تُؤسّس لعلاقاتٍ ثرّةٍ على المستوياتِ النّصّيّة كلّها. ولهذا الأسلوب حضوره القويّ والمؤثّر في سُوَرِ القرآن الكريم؛ إذ يَعمَدُ إلى تَحويلِ صِيَغِ الإرسالِ اللّغويّ (التّكلّم، الخطاب، الغَيبة)، وتغييرِها وُفقَ مُقتضيات المقام، والأغراض البلاغيّة الكامنة وراءَها، وهو بذلك يُخرِجُ النّصّ اللّغويّ عن النّمطيّة الحواريّة، ويكسرُ أفقَ التّوقّع لدى المتلقّي–المباشر وغير المباشر–كلٌّ حسبَ مَوقعه مِن الرّسالة الّتي يتضمّنها ذلك النّصّ.

وسيقفُ هذا البحث على أسلوب الالتفات في سورة المائدة، محاولاً رَصدَ التّنويعاتِ الأسلوبيّة، والعدول الحواريّ في النّصّ اللّغويّ للسّورة، وأثر ذلك في استجلاءِ الأغراضِ البلاغيّة والمقاصد الإلهيّة، وإيصالها إلى المتلقّي بطرقٍ تعبيريّةٍ تأسِر الفكرَ، وتجذب الانتباه إلى تأمّل الانحرافات الصّيَغيّة والعلاقات النّصّيّة الجديدة المترتّبة على هذا العدول أو ما يُسمّى الخروج على مُقتضى الظّاهر.

**الكلمات المفتاحيّة:** سورة المائدة، فنّ الالتفات، العدول الأسلوبيّ، الصّيَغ اللّغويّة(التّكلّم، الخطاب، الغائب)، السّياق.

* **أستاذ في قسم اللّغة العربيّة. كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة–جامعة تشرين– سورية.**

** **طالبة دكتوراه في قسم اللّغة العربيّة. كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة–جامعة تشرين– سورية.**

**مقدّمة:**

الالتفاتُ لغةً: مصدرٌ مُشتقٌّ مِن الجَذر الثّلاثيّ (ل، ف، ت)، قال ابن فارس: "اللّام والفاءُ والتّاء كلمةٌ واحدةٌ تدلّ على اللّيّ وصَرف الشّيء عَن جهته المُستقيمة"[1]. واللّفتُ مجازاً: "الصَّرفُ"[2]، تقول: "لَفَتُّ فُلاناً عن رأيِهِ، أي: صَرَفْتُهُ عَنهُ"[3]. الالتفاتُ اصطلاحاً: تَنوّعَت أقوال البلاغيّين في تعريفهم لمصطلَح الالتفات، ولعلّ منشأ ذلك عائدٌ إلى التّوجّهات البحثيّة الّتي انكبّ عليها كلّ باحثٍ منهم، وإلى اتّساعِ دائرة الخطاب اللّغويّ الّذي يُشكّل فيه الالتفات الرّكنَ الأساس القادر على التّماهي والزّاوية الخطابيّة في عمليّة التّواصل المُجدِي، فهو المكان الأكثر خصوبةً لتحقيق الأغراض البلاغيّة المتمثّلة في خروج الكلام على مقتضى الظّاهر. وعن ذلك التّنوّع يُمكن أن نقفَ على عددٍ مِن التّعريفات البلاغيّة الّتي وَضّحت مصطلح الالتفات، ووسَّعَت دائرة عمله في الدّرس البلاغيّ؛ ذلك أنّ تتبّعَ نموّ مفهوم الالتفات وتطوّره يؤكّد للباحث فكرة الاتّساع الدّلاليّ الّذي طالَ هذا المفهوم عبرَ التّقدّم على سلّم البلاغة العربيّة، فأقدمُ إشارةٍ للالتفات تعود إلى روايةٍ لأبي إسحق الموصلّيّ عن الأصمعيّ(213هـ)؛ إذ يقول: [4]" أَتَعْرِفُ التفات جرير؟ قلتُ: وما هو؟ فَأنشَدَني –مِن الوافر–:

أَتَنْسَى إذْ تُوَاعِدُنا سُلَيْمَى بِعودِ بَشامة سُقِيَ البَشَامُ

ثمّ قال: أَما تراهُ مُقبِلاً على شِعرِهِ؛ إذِ التَفَتَ إلى البَشام فَدَعا لهُ". وبالعودةِ إلى كتب البلاغيّين السّابقة للأصمعيّ نجدُ أنّ مصطلح الالتفات استُخدِمَ بمسمّياتٍ أخرى أكثرها كان مصطلح المجاز، منها –مثلاً– الأمثلة الّتي جاءَ بها أبو عبيدة معمَر بن المثنّى(210هـ) في كتابِه (مجاز القرآن)، قال[5]:"وِمن مجاز ما جاءَت مُخاطبته مخاطبة الشّاهد ثمّ تركت وحُوِّلَت مُخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قال الله تعالى: ﴿حتّى إذَا كُنْتُمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهم﴾، يُونس/22؛ أي بِكم، ومِن مجازِ ما جاءَ خبره عَن غائبٍ ثمّ خُوطِبَ الشّاهد، قال تعالى: (ثمَّ ذهبَ إلى أهلِه يَتَمطَّى*أَوْلَى لكَ فَأَوْلَى) القيامة/33–34"، وإلى مثل ذلك ذهب المبرّد(285هـ) [6]. ومعَ تطوّر البحث البلاغيّ ظهرَ مصطلح الالتفات لدى ابن المعتزّ(296هـ)؛ إذ جعله أوّل محاسن الكلام بعد فنون البديع الخمسة، وقال في تعريف الالتفات[7]:"هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبارِ إلى المُخاطَبة، وما يُشبه ذلك، ومِنَ الالتفات إلى الانصراف عَن معنًى يكون فيه إلى معنًى آخر"، وسمّاهُ ابن وَهَب(335هـ) الصّرْفُ، قال[8]:"وأمّا الصّرفُ فإنّهم يصرفونَ القَولَ مِن المُخاطَبِ إلى الغائبِ، ومِنَ الواحدِ إلى الجَماعَةِ...". وتَبِعَهُ في ذلك ابن مُنقذ(584هـ)، واشتقَّ له تسميةً جديدةً (الانصراف)، قال[9]:"هو أن يرجع مِن الخبر إلى الخطاب مِن الخطاب الآخر". وإذا مَضينا في تتبّع مصطلح الالتفات عند المتقدّمين مِن أهل اللّغة نجد أنّهم لَم يتّفقوا على تعريفٍ ثابتٍ يكون قاعدةً بلاغيّةً تَضبِطُ النّصوصَ المَدروسة، فإذا كان الالتفات مجازاً عند أبي عبيدة والمبرّد، وصَرفاً عند ابن

---

[1]- ابن فارس، أحمد، ***معجم مقاييس اللّغة***. ج/5، ص258.
[2]- الزّبيديّ، محمّد، ***تاج العروس***. ج/5، ص79.
[3]- الزّمخشريّ، جار الله محمود، ***أساس البلاغة***. ج/2، 173. وابن منظور الإفريقيّ، جمال الدّين محمّد، ***لسان العرب***. م/2، ص58.
[4]- القيروانيّ، ابن رشيق، ***العمدة في محاسن الشّعر وآدابه***. ج/2، ص46. والبيت في ***ديوان جرير***، م/2، ص279.
[5]- ابن المثنّى، معمَر أبو عبيدة، ***مجاز القرآن***. ج/1، ص11.
[6]- انظر: المبرّد، محمّد بن يزيد، ***الكامل في اللّغة والأدب***. ج/3، ص11.
[7]- ابن المعتزّ، عبد الله، ***كتاب البديع***. ص58.
[8]- ابن وهب الكاتب، إسحق، ***البرهان في وجوه البيان***. ص122.
[9]- الزّمخشريّ، ***أساس البلاغة***. ج/2، 173. وابن منظور الإفريقيّ، ***لسان العرب***. م/2، ص58.

وَهب وابن منقذ، فهو اعتراضٌ عند قدامة بن جعفر(337هـ)، والحاتميّ(388هـ)، وأبي هلال العسكريّ(395هـ)، والباقلّانيّ(403هـ)[1]. إنّ تأمّل ظاهرة الالتفات في كتب البلاغة الأصيلة يُؤكّد للباحث انحسارَ الاضطراب حول هذا المفهوم، وذلك مِن بداية القرن السّادس الهجريّ؛ إذِ اتّسعَ الالتفاتُ ليشمَلَ ظواهر التّحوّل الأسلوبيّ للخطاب اللّغويّ، ولعلّ أبرزَ بلاغيّي هذا الاتّجاه: الزّمخشريّ(538هـ)، والفخر الرّازيّ(606هـ)، والسّكّاكيّ(626هـ)، وابن الأثير الجزريّ(637هـ)، وابن أبي الإصبع المصريّ(654هـ)، وغيرهم، إذ استقرّ رأي علماء البلاغة على أنّ الالتفات هو نقلُ الكلام من الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها يُنقَلُ كلّ واحدٍ منها إلى الآخر[2]. وسُمّيَ هذا الرّأي برأي الجمهور. ولعلّ ما يُميّز تلك الحقبة البلاغيّة أمران؛ الأوّل: التّفصيل الدّقيق الّذي قدّمهُ ابن الأثير لمسائل الالتفات ومسالكه البلاغيّة في الخطاب الأدبيّ[3]. والأمر الثّاني: انفراد السّكّاكيّ برأي آخر–مع اتّفاقِه مع رأي الجمهور– إذ يرى أنّ الالتفات هو التّعبير بصيغة" كان مقتضى الظّاهر أن يُعبّر عنه بغيرها"[4].

وجاء بعد ذلك الخطيب القزوينيّ(739هـ) ليناقشَ مفهوم الالتفات، وموقفَ السّكّاكيّ مقابل مَوقف الجمهور، فأوضحَ قائلاً[5]: والمشهورُ عند الجمهور أنّ الالتفات هو التّعبيرُ عن معنًى بطريقٍ من الطّرق الثّلاثة بعدَ التّعبير عنه بطريقٍ آخر مِنها، وهذا أخصّ مِن تفسير السّكّاكيّ؛ لأنّه أرادَ بالنّقل أن يُعبِّرَ بطريقٍ مِن هذه الطّرق عمّا عُبِّرَ عنهُ بغيرِه، أو كان مُقتضى الظّاهر أن يُعَبَّرَ عنه بغيره منها، فكلّ التفاتٍ عندهم التفاتٌ عنده، مِن غَير العكس". ولعلّ في قول القزوينيّ(وهذا أخصّ مِن تفسير السّكّاكيّ) ما يُؤيّدُ رأيَ الجمهور. ومِن البلاغيّين الّذين وقفوا على مفهوم الالتفات وخصّهُ بشرحٍ وافٍ ابن حمزة العلويّ(749هـ)؛ إذ تناوله بالتّعريف والتّفصيل، ومِن ثمّ جعله في أضربٍ ثلاثةٍ، قال[6]:"هو العدول مِن أسلوبٍ في الكلام إلى أسلوبٍ آخر مخالفٍ للأوّل، وهذا أحسنُ مِن قَولِنا: هو العدولُ مِن غَيبَةٍ إلى خطابٍ، ومِن خطابٍ إلى غَيبةٍ؛ لأنّ الأوّلَ يعمُّ سائرَ الالتفاتات كلّها. والحدُّ الثّاني إنّما هو مَقصورٌ على الغَيبَة والخطاب لا غَير". وممّا سبقَ يُمكن أن نقول: إنّ الالتفات أسلوبٌ مِن أساليب الخطاب البلاغيّ يقتضي مُخالفة الأصل، والخروج على مُقتضى الظّاهر عبر تنوّع مَواقع المتكلِّم والمخاطَب في عمليّة

---

[1]- قال قدامة بن جعفر: "ومن نعوت المعاني الالتفات، وهو أن يكون الشّاعر آخذاً في معنًى فكأنّه يعترضه إمّا شكٌّ فيه أو ظنٌّ بأنّ رادّاً يردّ عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً على ما قدّمهُ فإمّا أن يؤكّده أو يذكرَ سببه أو يحلّ الشّكّ فيه"، انظر: ابن جعفر، قدامة، *نقد الشّعر*. ص150. وقال الحاتميّ:"أن يكون الشّاعرُ آخذاً في معنًى فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتمّ الأوّل، ثمّ يعود إليه فيُتممهُ، فيكون فيما عدلَ إليه مبالغة في الأوّل وزيادة في حسنه"، انظر: الحاتميّ، محمّد بن الحسن، *حلية المحاضرة في صناعة الشّعر*. ج/1، ص157. وقال العسكريّ:"الالتفاتُ على ضَربَيْن، فواحدٌ أن يفرغَ المتكلّم من المعنى، فإذا ظَننتَ أنّه يُريد أن يُجاوزه يلتفتُ إليه فيذكره بغير ما تقدَّمَ ذِكره.... والضّرب الآخَر أن يكون الشّاعر آخذاً في معنًى وكأنّه يعترضه شكٌّ أو ظنٌّ أنّ رادّاً يردّ عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً على ما قدّمه، فإمّا أن يؤكّده أو يذكر سببه أو يزيل الشكّ عنه"، انظر: أبو هلال العسكريّ، الحسن بن عبد الله، *كتاب الصّناعَتَين الكتابة والشّعر*. ص47. وقال الباقلّانيّ في بيتٍ لجرير-من الوافر-:

متى كان الكلام بذي طلوحٍ سُقِيتِ الـغيثَ وأيّتها الخيام

"ومعنى الالتفات أنّه اعترَضَ في الكلام قوله: (سُقيت الغيثَ)، ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً، وكان الكلام منتظماً"، انظر: الباقلّانيّ، محمّد بن الطّيّب، *إعجاز القرآن*. ص150. والبيت في *ديوان جرير*. ص278. و(ذي طلوح) اسم مَوضع.

[2] - انظر: السّكّاكيّ، يوسف بن أبي بكر، *مفتاح العلوم*. ص199. وعكّاويّ، د. إنعام، *المعجم المفصّل في علوم البلاغة*. ص209.

[3]- عدّ ابن الأثير الالتفات من الصّناعة المعنويّة، قال:"وهذا النّوع وما يليه هو خلاصةُ علم البيان الّتي حولها يُدَنْدَنُ، وإليها تَستندُ البلاغة، وعنها يُعَبّرُ. وحقيقته مأخوذةٌ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبلُ بوجهه تارةً كذا وتارةً كذا، وكذلك يكون هذا النّوع مِن الكلام خاصّةً لأنّه ينتقلُ فيه عن صيغةٍ إلى صيغةٍ كالانتقال مِن خطابٍ إلى غائبٍ، أو مِن خطابٍ غائبٍ إلى حاضرٍ، أو من فعلٍ ماضٍ إلى مستقبلٍ، أو من مستقبلٍ إلى ماضٍ..."، انظر: ابن الأثير، ضياء الدّين، *المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر*. ق/2، ص167—186.

[4]- انظر: السّكّاكيّ، يوسف بن أبي بكر، *مفتاح العلوم*. ص200.

[5]- القزوينيّ، جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع*. ص258. والصّعيديّ، عبد المتعال، *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*. ج/1، ص115.

[6]- العلويّ، يحيى بن حمزة، *الطّراز*. ج/2، ص71—75.

التّواصل المُجْدِي"، وبتعبيرٍ آخر"هو التّحويل في التّعبير الكلاميّ من اتّجاهٍ إلى آخر من جهات أو طُرق الكلام الثّلاث–التّكلّم، والخطاب، والغيبة–، مع أنّ الظّاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التّعبير وُفقَ الطّريقة المختارة أوّلاً دون التّحوّل عنها"[1]. وهو أيضاً "خاصّيّةٌ تعبيريّةٌ تتميّزُ بطاقاتِها الإيحائيّة من حيثُ كان بناؤه يعتمدُ على العدول"[2]. وقد ربطَ الدّرس الأسلوبيّ الحديث مصطلح الالتفات بمصطلحاتٍ أخرى هي: التّحوّل، والانحراف، والعدول، وتعدّد النّمطيّة اللّغويّة، وغيرها؛ "فالمادّة اللّغويّة أو المعجميّة للالتفات تدورُ في عمومها حول محوَرٍ دلاليٍّ واحدٍ هو التّحوّل أو الانحراف عن المألوف مِنَ القِيَمِ أو الأوضاع أو أنماط السّلوك"[3]، وذلك يلتقي – عندهم– مع تصوّر وجود بنيتَيْن للجملة؛ بنيةٍ عميقةٍ وبنيةٍ سطحيّةٍ؛ بمعنى أنّ الالتفاتَ ينضوي على دلالاتٍ سياقيّةٍ ومقاميّةٍ داخليّةٍ، وسياقاتٍ دلاليّةٍ ومقاميّةٍ خارجيّةٍ، وهذا ما يُمكن أن نفسّره، ونجده في أنواعِ الالتفاتِ كلّها.

## أهمّية البحث وأهدافه:

يسعى البحثُ إلى تأمّل مفهوم الالتفات البلاغيّ الّذي شغلَ حيّزاً واسعاً مِن تفكير أهلِ اللّغة والبلاغة، فمكثوا غَيرَ قَليلٍ على أساليبه وفنونه الكلاميّة، وأسهبوا في تفصيلاتِه وتعديلاته الاصطلاحيّة والقواعديّة، كما سيحاول البحث أن يقفَ على جماليّات الالتفات في الخطاب القرآنيّ في سورة المائدة، ومن ثمّ تقديم رؤيةٍ فكريّةٍ تنسجم ودورَ الالتفات في البناء الدّلاليّ للخطاب اللّغويّ القرآنيّ.

## منهجيّة البحث:

يعتمد البحثُ أدوات المنهج الوصفيّ الّذي يقوم على استقراء الظّاهرة البلاغيّة ورصدها، ومن ثمّ مناقشتها وفقَ الوسائل والإجراءات المتاحة في الحقل الأدبيّ، وصولاً إلى استنطاق دلالاتها بغية الخلوص إلى نتائج تؤكّد أهمّيّة فنّ الالتفات البلاغيّ، وتنوّع زوايا الخطاب اللّغويّ الّذي–وإن خَرَجَ على مُقتضى الظّاهر– يُجسّدُ مظهراً من فنّيّة الأسلوب البلاغيّ المتحقّق على مستوياته الكلاميّة والحواريّة كافّة(متكلِّم، غائب، مخاطَب).

## النّتائج والمناقشة:

إنّ الاضطرابَ الّذي طالَ مصطلح الالتفات عبر مسيرتِه وتطوّرِه اللّغويّ والاصطلاحيّ لا يعني ضبابيّةً أو خللاً في درجات البلاغة؛ بل هو أسلوبٌ رفيعٌ " تُخَصّ مواقعه بلطائفَ ومعانٍ قلّما تتّضح إلّا لأفراد بلغائهم، أو للحذّاق المَهَرَة في هذا الفنّ، والعلماء النّحارير، ومتى اختصَّ مَوقعه بشيءٍ مِن ذلك كساهُ فضلَ بهاءٍ ورَونقٍ، وأورثَ السّامِع زيادةَ هزّةٍ ونشاطٍ، ووجدَ عنده مِن القبول أرفعَ منزلةٍ ومحلٍّ إنْ كانَ ممّن يسمعُ ويعقل"[4]. ويُؤتَى بالالتفاتِ "للتّفنّن في الكلام والانتقال مِن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ تطريةً لنشاط السّامع، وإيقاظاً للإصغاءِ إليه من إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ"[5]. ويؤسّس النّصّ القرآنيّ بيئةً خصبةً لأساليب البلاغة العالية؛ إذ يشغَلُ الالتفاتُ حيّزاً واسعاً من تلك الأساليب، فالخطاب اللّغويّ يأخذ صوراً وأشكالاً متنوّعةً في كثيرٍ مِن سورِ القرآن الكريم، ويَنشدُ مستوًى رفيعاً

[1]- الميدانيّ، عبد الرّحمن حسن حبنّكة، *البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها*. ج/1، ص479.
[2]- يُنظر: عبد المطّلب، د. محمّد، *البلاغة والأسلوبيّة*. ص276.
[3] - جاد طبل، د. حسن، *أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة*. ص11.
[4]- السّكّاكيّ، *مفتاح العلوم*. ص200 وما بعدها.
[5]- الزّمخشريّ، *الكشّاف*. ج/1، ص120.

في سلّم البلاغة، ووصولاً واضحاً ومتمكّناً في نفس المتلقّي وذهنِه. وينبغي على الباحث في أسلوب الالتفات – القرآنيّ وغير القرآنيّ– أن يتأمّلَ زاويتَي الخطاب اللّتَين يقفُ فيهما كلٌّ مِن المُرسِل والمتلقّي، وذلك مع مداراة إمكانات التّحوّل والتّبادل الممكن في الخطاب غير القرآنيّ؛ إذ يُمكن أن تُدرَسَ أساليب الالتفات في النّصوص الشّعريّة والنّثريّة استناداً إلى تغيير وتبديل قواعد أو زوايا الخطاب. فالشّاعر يُمكن أن يُخاطِبَ ذاته المُتَخيَّلَة، ويخترع بألفاظه ومواقفه متكلِّماً وحاضراً وغائباً، فتُدرَس أساليبُه وفقَ معاييرَ خاصّةٍ تختلفُ في بعض حيثيّاتِها عن أساليب الخطاب القرآنيّ الموسوم بالثّباتِ والسّاعي إلى تحقيق الأغراض الإلهيّة، وتوضيحِ القَصَص والمواقف الهادفة. ولعلّ الجامع بين الخطابَين هو الجانب النّفسيّ؛ إذ تعود تحوّلات أساليب الخطاب اللّغويّ في كثيرٍ مِن المواضِع إلى مَحمولاتٍ وخلفيّاتٍ نفسيّةٍ تدفع المتلقّي إلى تتبّع الأثر الدّلاليّ والغَرض الحواريّ الّذي يكمن وراءه التّواصل والتّخاطر اللّغويّ، كما يُؤسِّسُ إيقاعُ الألفاظ المتحوِّل عن وجهته الرّئيسة إلى وجهاتٍ أُخرى استعداداً تامّاً، وحضوراً ذهنيّاً مكثّفاً للنّصّ أوللرّسالة(المتكلِّم)، وللّغة أو القصد/الغَرض(المتلقّي)، وذلك يَنسجم والهزّةَ النّفسيّة الّتي تُحدثها تخلخلات زوايا الخطاب على اختلاف أشكاله. وللالتفاتِ حضورٌ ثرٌّ في سورة المائدة، وتتطلّبُ دراسته تأمّلَ مَحاورِ الخطاب، والزّوايا الّتي يُطلُّ مِنها المُرسِل أوّلاً، ومِن ثمّ الوقوف على أهداف التّحوّلات الأسلوبيّة لذلك الخطاب، وتحديد أسباب العدول عن وجهته الرّئيسة إلى وِجهةٍ أخرى اقتضَتْها مَقاماتُ الحوار بين المرسِل والمتلقّي، والكشف عن أغراضِ تلك التّحوّلات وأثرها في البلاغة والتّبليغ، ولذلكَ كلّه استوجب البحثُ في ذلك تحديدَ مَحاور الالتفات، وتحليلها وُفقَ سياقاتِها، والوقوف على تنوّع مَراكز الخطاب، ولاسيّما في مقاماتِ الإيجاب والسّلب الّتي يستشعرُ المتلقّي مَقاصِدها، ويتحسّسُ آثارَها حقيقةً لا حكايةً أو حدثاً هادفاً أو خيالاً، فمن الطّبيعيّ أن يُركّزَ المتلقّي/ القارئ/ السّامع على الخطاب الّذي يتمثّلُ الإنسانَ المَخلوقَ، أو يتّصلُ به ضمن علاقاتِ الوجود، وتطلّعاتِ الوصول إلى مرضاةِ الخالق سبحانه وتعالى، والتزام أحكامِه. وسورة المائدة واحدةٌ في الخطاب القرآنيّ، تناولَت جانبَ التّشريعِ إلى جانب العقيدة وقَصَص أهل الكتاب، وفيها ما يُؤسّسُ مرتكزاً لكثيرٍ مِن الأحكامِ الّتي يُعنى بِها المُسلِمُ في كلّ زمانٍ ومكان[1].

## – الالتفاتُ في سورة المائدة:

جاءَ الالتفاتُ في سورة المائدة منسجماً ومناسبةَ المقال للمقامِ، وموضّحاً تنوّعَ زوايا الخطاب الإلهيّ الّذي اقتضى تحوّلاً وعدولاً عن السّياق الطّبيعيّ لمَجرى الألفاظِ والجُمَل المكوّنة للمعاني، ويُمكن رَصد أربعة تحوّلاتٍ أو عدولاتٍ لغويّةٍ رئيسَة أدّى فيها الالتفاتُ دَوراً مهمّاً في التّفسيرِ والتّبليغ، وهي: من التّكلّم إلى الغيبة، من الغيبة إلى التّكلّم، الالتفات من الغَيبَة إلى الخطاب، الالتفاتُ من الخطاب إلى الغيبة. وقبلَ الخَوضِ في تلكَ التّقسيمات لا بدّ مِن التّذكير بِما أورده (د. حسن طبل) في كتابه (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة)، إذ جعل الالتفات في صُوَرٍ حدّدها وفقَ التّقسيمات الآتية[2]: 1– الصّيغ: وهو الانتقال بالجُمَلِ بينَ صِيَغِ الماضي والمضارع والأمر، أو بين

---

**[1] ـ سورة المائدة مدنيّةٌ، وأهمّ ما ذُكِرَ مِن الأحكامِ فيها: أحكام العقود، والذّبائح، والصّيد، والإحرام، والرّدّة، والطّهارَة، والسّرقة، والفَساد، والخَمر والميسر، وكفّارة اليَمِيْن، والوصيّة عند المَوت، والتّارك العمل بشريعة الله، وغَيرِها مِن الأحكام. انظر: الصّابونيّ، محمّد عليّ، *صفوة التّفاسير*. م/1، ص324. و: الأجهوريّ، عطيّة بن عطيّة، *إرشاد الرّحمن لأسباب النّزول والنّاسخ والمنسوخ والمتشابِه وتجويد القرآن*. م/1، ص239ـــ273.**

**[2] ـ وتلك التّقسيمات هي ثَبتٌ تفصيليٌّ جعله (د. حسن) في آخر كتابِه، قدّمَ فيه نماذِجَ قرآنيّة أثْرَت أساليبَ البلاغَة بعامّة، وأسلوب الالتفات بخاصّة. انظر: *أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة*. ص171ـــ228. ولكنّ التّقسيمات الأشهَر لأسلوب الالتفات هي ما اعتمَده البحث.**

الفعليّة والاسميّة، نحو قولهﷻ:﴿ولا تَشتَروا بآياتِي ثَمناً قَليلاً ومَن لَمْ يَحْكُم بِما أَنزَلَ اللهُ فأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾المائدة/44، و:﴿ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾المائدة/70. 2- العدد: وهو الانتقالُ بِصِيَغِ الأسماءِ والصّفات بين الإفرادِ والتّثنيةِ والجَمع، نحو قولهﷻ: ﴿ومَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ الله فأولئكَ هُمُ الكافرون﴾المائدة/44، و:﴿وقالَتِ اليهودُ يَدُ اللهِ مَغلُولَةٌ غُلَّتْ أيدِيهِم ولُعِنُوا بِما قَالُوا بَل يَداهُ مَبسُوطَتانِ..﴾المائدة/64. 3- الأدوات: ويكون بوساطَةِ زيادَةِ أدواتٍ لغويّةٍ أو التّنويع في استعمالِها؛ كأدواتِ الاستفهامِ، والشّرط، أو التّعريف والتّنكير[1]، نحو قولهﷻ: ﴿ولو أنّهم أقاموا التّوراةَ والإنجِيْلَ وما أُنْزِلَ إليهم مِن ربِّهِم لأَكَلُوا مِن فَوقِهم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم مِنهم أُمّةٌ مُقتَصِدَةٌ وكثيرٌ منهُم ساءَ ما يَعمَلُون﴾المائدة/66، و:﴿قُلْ يَا أَهلَ الكتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُم غَيرَ الحقّ ولا تَتَّبِعُوا أهواءَ قَومٍ قَد ضَلُّوا وأَضَلّوا كَثيراً وضَلُّوا عن سواءِ السَّبيل﴾المائدة/77. 4- البناء النّحويّ: وهو تَحوّل في النّسق الإعرابيّ، وتنوّعٌ في صِيَغِ البناء اللّغويّ، نحو قولهﷻ:﴿إنّ الّذينَ آمنُوا والّذينَ هادُوا والصَّابئونَ والنَّصَارَى مَن آمَنَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ وعَمِلَ صالحاً فلا خوفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنون﴾المائدة/69، فالتّحوّل واضِحٌ في لفظ(الصّابئون)؛"لأنّ العَربَ تُخرِجُ المُشْرَك في المنصوب الّذي قَبلَه مِن النّصب إلى الرّفع على ضمير فعلٍ يَرفعه، أو استئنافٍ، ولا يُعمِلونَ النّصب فيه.."[2]. 5- المعجم: وهو ما يُوحي باشتراكِ لَفظَيْن في دلالَةٍ واحدة، وفيه مَبحثٌ طَويلٌ بينَ مؤيِّدِي التّرادف اللّغويّ في القرآن الكريم، وبين مُعارِضِيْه[3]، ومنه قولهﷻ:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي..﴾ المائدة/3. و:﴿يا أيُّها الرّسولُ بَلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ وإنْ لَم تَفعَل فَما بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ والله يَعصِمُكَ مِن النّاس..﴾المائدة/67. كما جعل (د. حسن) الضّمائرَ قسماً سادساً في أقسامِه الّتي عَرضَها آخر كتابِه، والحقّ أن هذا القسمَ هو أصل أسلوب الالتفات، وهو ما سيعتمِدُه البَحثُ في دراسته لهذه السّورَة المباركة، وسيُحاوِلُ البحثُ الإفادةَ مِن تلك التّقسيمات في المواضِع الّتي يستدعي فيها التّحليل ذلك.

## أوّلاً: الالتفاتُ من التّكلّم إلى الغيبة:

وهو أكثر الأنواع حضوراً في سورة المائدة، فالعدول عن التّكلّم إلى الغَيبة يُشعِرُ المتلقّي بتحوّل المقال، ويوضّحُ وِجهَةَ المقام هل هو مقامُ إيجابٍ أو مقامُ سلبٍ، فهذا الالتفاتُ لا يتأتّى إلّا لضرورةٍ وأغراضٍ تتطلّبها الرّسائل اللّغويّة بين المُرسِل والمتلقّي، وكثيراً ما يتعلّقُ بفنّ الإظهار في مقام الإضمار؛ أي التّصريح باللّفظ مكان ضميره، ولاشكّ أنّ مثل ذلك يدخُلُ صُلبَ تفاسير النّصّ القرآنيّ، ومنه قولهﷻ:﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾المائدة/3، فالالتفاتُ جاءَ من التّكلُّمِ (وَاخْشَوْنِ) إلى الغيبة (فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وكان مُقتضى الظّاهر أن يُؤتى بالضّميرِ منفصلاً (أنا) أو متّصلاً (إنّي) فيكون السّياقُ: (وأنا) أو (وإنّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)، إلّا أنّ المجيءَ بلفظ الجَلالَة (الله) في هذا المقام أكثر تأثيراً في نُفوسِ المُخاطَبين، فهو لفظٌ جامعٌ

---

**[1] - لَم يَذكر د. حسن طبل أمثلةً لِهذا النّوع مِن سورَة المائدة؛ بل ذكرَ أمثلةً من سوَر أخرى، ومن الأمثلة الّتي ذكرها في هذا المقام، قولهﷻ:﴿يُؤمِنُ باللهِ ويُؤمِنُ للمؤمنين﴾التّوبة/61. تنويعٌ بين حَرفَي(الباء) و(اللّام). وقولهﷻ:﴿إنّما صَنَعُوا كَيدُ ساحِر ولا يُفْلِحُ السّاحِرُ حيثُ أَتَى﴾طه/69، تنويعٌ بين تعريف لفظ(ساحر) وتنكيره. وقولهﷻ:﴿وإنّا إذا أَذَقْنا الإنسانَ مِنّا رَحمَةً فَرِحَ بِها وإنْ تُصِبْهُم سيّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أيدِيْهِم فإنّ الإنسانَ كَفور﴾الشّورى/48. انظر: *أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة*. ص214 وما بعدها.**

**[2] - ابن المثنّى، معمَر أبو عبيدة، *مجاز القرآن*. ج/1، ص172.**

**[3] - فصّلَ د. محمّد بن عبد الرّحمن بن صالح الشّايع في هذه المسألة، وقدّمَ عَرضاً وافياً لمؤيّدي التّرادف اللّغويّ ولمعارِضِيْه، في القرآن الكريم، وذلك في كتابه: *الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم*.**

لصفاتِ الألوهيّةِ والكمال الّتي خَبِرَها المُخاطَبون، وسواءٌ أكانَ الخطابُ مباشراً؛ يخصُّ المسلمين الّذينَ اتّبعوا رسولَ اللهﷺ إليهم، فاستكملوا ما يحتاجونه في تكليفهم مِن تعاليم الدّين والشّرائع، وفتحِ مكّة ودخولِها آمنين ظاهرين على الكفّار[1]، أم كان غيرَ مباشرٍ؛ أُريدَ بِهِ عموم المسلمين الّذين تمسّكوا بدين خاتم النّبيينﷺ، وساروا على هَديه وتعاليمِه إلى يَومنا هذا، فإنّ المخاطَبَ يستشعِرُ أثرَ البناء النّحويّ للالتفات؛ إذ انتقلَ مِن الصّيغَة الفعليّة (اخشونِ) إلى الصّيغة الاسميّة (إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وفي ذلكَ إظهارٌ وتعظيمٌ للفاعِلِ المُضمَرِ في الصّيغَةِ الأولَى، وتأكيدٌ وإثباتٌ لفاعليّتِه وقُدرتهﷻ في الصّيغَة الثّانية، ولاشكّ أنّ خُروجَ الكلامِ على سياقِهِ الأصليّ الّذي بُنِيَ عليهِ ليسَ فقط للاتّساعِ في أساليب الكَلامِ؛ بل يتّفقُ ومَقاصِدَ الخطاب الإلهيّ المُعبّر عن أعلى درجات العَفوِ والرّحمة، ولاسيّما أنّ العبدَ يتلمّسُ ذلك في حالِ اضطراره ووقوعِه في الضّرورة، فلفظ الجلالة (الله) يبدو أكثرَ قُرباً وحضوراً في نفس ذلك العبد– أيّ عبدٍ–، ليستلهمَ منه سُبلَ الشّفاعَةِ ووسائلَ المغفرة والرّحمة. وفي أضاميم السّياق العامّ لأسلوب الالتفات نكتةٌ بلاغيّةٌ يُفسِّرها المعجم اللّغويّ، وهي تمايُز الدّلالَةِ بين (الإكمال)أو(التّكميل) في قولهﷻ:﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، و(الإتمام)أو(التّتميم) في قولهﷻ:﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فالتّمايُز الدّلاليّ بينِ كِلا اللّفظَين يُقَوّي أثَر العدولِ عن الإضمارِ إلى الإظهار، فـ"التّتميمُ يَرِدُ على النّاقص فيُتَمِّمه. والتّكميلُ يَرِدُ على المعنَى التّامّ فيُكمِلُه؛ إذِ الكَمالُ أمرٌ زائدٌ على التّمام"[2]، ولاشكّ أنّه بعد تحقّق الفروق الدّلاليّة للّفظَيْن، فإنّ العدولَ إلى إظهارِ لفظ الجلالة(الله) بوساطة أسلوب الالتفات أثرَى السّياق اللّغويّ، وعمّقَ الإحساسَ بمقاصِدِه الإبلاغيّة والبلاغيّة.

ومن ذلك قولهﷻ: ﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾المائدة/12، فمقتضى الظّاهر أن يكون: (وقُلنا)، بعد: (وَبَعَثْنَا)، ولكنّهﷻ عدلَ إلى لفظِ (الله) لِما فيه مِن التّرغيب والتّرهيب[3]، وقد رجّحَ المفسّرونَ أن المقصودَ مِن قولهﷻ:﴿ وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بنو إسرائيل؛ لتعلّقِ سياقِ الآيةِ بِما قَبله﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا ...﴾، فهم "المحتاجونَ إلى ما ذُكِرَ مِن التّرغيب والتّرهيب كما يُنبئُ عنه الالتفاتُ مع ما فيه مِن تَربيةِ المَهابة، وتأكيدِ ما يتضَمّنهُ الكلامُ مِن الوعد"[4]، إنّ اتّفاقَ البناءِ النّحويّ في صِيغَتَي الالتفاتِ لَم يأتِ على أسلوبٍ واحدٍ؛ مُضمَرٍ أو مُظْهَرٍ، فالفاعل في الصّيغَةِ الأولَى(مُضمَرٌ) وهو (نا) العَظَمَة في (بَعَثْنَا)، أمّا في الصّيغة الثّانية فالفاعلُ مُظهَرٌ(الله)؛ بمعنى أنّه عدلَ، في الصّيغَةِ الفعليّة الواحدةِ، عن الإضمارِ إلى الإظهارِ والتّصريحِ(قال الله). أضِفْ إلى ذلك فإنّ ذلك العدول إلى لفظ الجلالةِ يستدعيه الأسلوبُ الحكائيّ، وهذا الأسلوب ينسجمُ وبناءَ الكلام على الغَيبَة أكثر مِن بنائه على التّكلّم، فيبدو السّياقُ أكثر وضوحاً في ذهن المتلقّي الّذي يتأمّلُ علاقة (الله) ﷻ بعبادِه، وما أعدّه لكلّ فريقٍ مِنهم، قالﷻ: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾المائدة/12، فالآية تضعُ المُخاطَبينَ مِن بني إسرائيلَ أمامَ خَيارَيْن اثنَيْن، يُمكن لأيٍّ متلقٍّ أن يُدرِكَ مقاصِدَها، كما أنّ العدولَ عن التّكلّم إلى الغَيبَة أكثر وَقعاً في النّفْسِ؛ إذ يُستَشعَرُ ذلك في

---

[1] ـ انظر: الزّمخشريّ، ***الكشّاف***. ج/2، ص196، والآلوسيّ، محمود شهاب الدّين، ***روح المعاني***. ج/6، ص60.

[2] ـ الكفويّ، أيّوب بن موسى الحسينيّ أبو البقاء، ***الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة***. ص296. وانظر: العسكريّ، الحسن بن عبد الله أبو هلال، ***الفروق في اللّغة***. ص470 وما بعدها.

[3] ـ انظر: الرّازيّ، محمّد فخر الدّين، ***تفسير الفخر الرّازي***. ج/11، ص190. و: أبو السّعود، محمّد بن محمّد العماديّ، ***تفسير أبي السّعود***. ج/3، ص15. و: الآلوسيّ، محمود شهاب الدّين، ***روح المعاني***. ج/6، ص87.

[4] ـ أبو السّعود، محمّد بن محمّد العماديّ، ***تفسير أبي السّعود***. ج/3، ص15. و: الآلوسيّ، محمود شهاب الدّين، ***روح المعاني***. ج/6، ص87.

إظهارِ لفظِ الجلالة(وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ) بدلَ إضمارِه(وأقرضتموني)، ومِن ثمّ إخفاء ظهوره مِن السّياقِ الدّالّ على التّرهيب(فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ)؛ ليبدوَ مَشهَدُ التّرغيبِ أكثر فاعليّةً في الأنفسِ بحضورِ اسم الله العظيم وما يُتَصوّرُ فيه مِن صفاتِ الكَمالِ والجَلالِ والرّحمة والإكرام.

ومن ذلك قولهﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾المائدة/13. والكلامُ لِبني إسرائيل[1]، بُنِيَ فيه الخطابُ على أسلوبِ الاستفهام الإنكاريّ

والمقصودُ منه "أن نَعتبِرَ بحالِهم، ونتّعظَ مِن الوقوعِ في مثلِها"[2]، وقد عُدِلَ فيه عن التّكلّم(فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)إلى الغيبة(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)، ولا يَخفَى أنّ المخاطَبَ في قولهﷻ:﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾ و:﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾هو نبيّ الله الكريم (محمّد)ﷺ، وعليه فإنّ قولهﷻ:﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يبدو أقربَ إلى النّبيّ الكريمﷺ مِن المستثنينَ في قولهﷻ:﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمُ﴾[3]، ليبدوَ الالتفاتُ في هذا السّياق وكأنّه"تعليلٌ للأمر، وحثٌّ على الامتثالِ به، وتنبيهٌ على أنّ العفوَ على الإطلاقِ مِن بابِ الإحسان"[4]، فإظهارُ لفظ الجلالَة منحَ الجملةَ استقلاليّةً دِلاليّةً يستشعرُها المتلقّي في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ومن ذلك قولهﷻ:﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾المائدة/14؛ فالالتفاتُ أو العدولُ عن التّكلّم (أَخَذْنَا.. فَأَغْرَيْنَا) إلى الغيبة (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ) يتّفقُ ومقام التّرهيب والوعيد الّذي تُوحي به متممّاتُ السّياق(فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)؛ أي: إنّ اللهﷻ سيُخبرهم بما فعلوا في الدّنيا مِن نقضِ الميثاق، ونسيان الحظّ الوافِر ممّا ذُكِّرُوا بِه[5]، فـ" الالتفاتُ إلى ذِكْرِ الاسم الجليل لتربيَةِ المَهابَةِ وإدخالِ الرّوعةِ لتشديد الوعيد، والتّعبير عن العَمل بالصّنعِ للإيذانِ برسوخِهم في ذلك، وعن المجازاة بالتّنبئَةِ للتّنبيه على أنّهم لا يَعلمونَ حقيقةَ ما يعملونه مِن الأعمالِ السّيّئَةِ، واستتباعِها للعذاب"[6].

ومن ذلك قولهﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾المائدة/15، والمقصودُ بـ(أهل الكتاب): اليهود والنّصارى[7]، وفيه "التفاتٌ إلى خطابِ الفَريقَيْن على أنّ الكتابَ جِنسٌ شامِلٌ للتّوراةِ والإنجيل"[8]، ومِنَ الواضِحِ أنّ المَقامَ مَقامُ سلبٍ، بدليل قولهﷻ:﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾؛ أي إنّ نبيّ الله محمّدﷺ جاءَ ليُبَيِّنَ لكم ما كنتم تكتمونه مِن صفتهﷺ ، وبِشارة النبيّ عيسىعليه السلام، وآية الرّجم، وتحريم الخَمر، وأكل الرّبا، وغَيرها ممّا جاءَ في

---

[1] - قال الطّبريّ(ت310هـ):"ولا تزالُ يا محمّد تطّلعُ من اليهود الّذين أنبأتكَ نبأهم -مِن نقضهم ميثاقي، ونكثهم عهدي مع أياديّ عندَهم، ونعمتي عليهم- على مِثلِ ذلك مِنَ الغَدرِ والخيانة ﴿إلّا قَليلاً مِنهم﴾..؛ لأنّ الله عَنى بهذه الآية القَومَ مِن يهود بَني النّضير الّذينَ همّوا بقَتلِ رسول اللهﷺ وأصحابه..."، انظر: أبو جعفر الطّبريّ، محمّد بن جرير، *تفسير الطّبريّ*. ج/8، ص252و254.

[2] - ابن عاشور، محمّد الطّاهر، *تفسير التّحرير والتّنوير*. ج/6، ص144.

[3] - انظر: الرّازيّ، *تفسير الفخر الرّازي*. ج/11، ص192.

[4] - أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص16. وانظر: الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص90.

[5] - انظر: الزّمخشريّ، *الكشّاف*. ج/2، ص216. و:أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص17. و: الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص96. و: ابن عاشور، محمّد الطّاهر، *تفسير التّحرير والتّنوير*. ج/6، ص149.

[6] - أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص17.

[7] - انظر: الزّمخشريّ، *الكشّاف*. ج/2، ص218. و: الطّبريّ، *تفسير الطّبريّ*. ج/8، ص261. و: أبو حيّان الأندلسيّ، محمّد بن يوسف، *تفسير البحر المحيط*. ج/3، ص463.

[8] - أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص17. و: *التّحرير والتّنوير*. ج/6، ص150. و: الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص96.

كُتبِكم السّماويّة، و﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ فيترُك أخذَكم بكثيرٍ ممّا كُنتم تُخفونَه[1] "ما لَم تَدعُ إلى ذلك داعيةٌ دينيّةٌ صيانةً لكم عن زيادَةِ الافتضاح"[2]. ومن الواضح أنّ الخطابَ الإلهيّ يخُصُّ قوماً بعينهم مِن أهل الكتاب وهم الّذينَ كانوا في عَصرِ رسول الله محمّدﷺ[3]، وهو ما دلّ عليه لفظ(لَكم) إذ يَبدو زائداً في مِثلِ هذا السّياق لشمولِهِ واتّساعِ دلالاتِه، إلّا أنّ أسلوبَ الالتفاتِ في آخر الآية يُشعِرُ المتلقّي–في كلّ زمانٍ ومَكانٍ– أنّه مَعنيٌّ بذلك الخطاب، والّذي لو بُنِيَ على صيغَةِ التّكلّم لَمَا أَشعَرَ بِمثلِ ذلك؛ لشدّة ارتباطِ المقالِ بالمَقام، فالالتفاتُ نَقلَ الحكايَةَ عَن أهل الكتابِ ثمّ جعلَ المتلقّي جُزءاً حاضراً فيها، يتلمّسُ ما جَرى على غَيرِه مِن أسبابِ التّرغيبِ والتّرهيب.

ومثل ذلك قولهﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾المائدة/19؛ فالالتفاتُ عن التّكلّم(رَسُولُنَا) إلى الغَيبَةِ(وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) نقلَ السّياقَ عَن مقامِه الزّمانيّ والمكانيّ المحدّد بمناسبةِ الآيَةِ إلى سياقٍ دلاليٍّ مَفتوحٍ يستشعرُه المتلقّي في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ومثل ذلك قولهﷻ:﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ*إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ﴾المائدة/32–33؛ إذ انتقلَ السّياقُ من التّكلّم (كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) إلى الغيبَة (يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ)، وفي ذلك توضيحٌ لمكانةِ نبيّ الله محمّدﷺ عند ربّهﷻ، وتنبيهٌ " على رفعَةِ مَحلّه عندهﷻ، ومحاربة أهل شريعته وسالكي طَريقته مِن المسلمين محاربة لهﷺ، فيَعمّ الحكم مَن يُحاربُهم ولو بَعد أعصارٍ بطريقِ العبارَةِ، دونَ الدّلالة والقياس؛ لأنّ ورود النّصّ ليسَ بطريق خطابِ المُشافَهَةِ حتّى يَختصّ حكمه بالمكلّفِينَ عند النّزول.."[4]، ففي العدولِ خروجٌ للدّلالةِ عن السّياق الدّاخليّ، وتَعميمٌ يستشعرُه المُخاطَبونَ أنّى سَمعوا هذه الآية، وغيرها من آيات الله المبنيّة على الأسلوبِ نفسه.

ومن ذلك قولهﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾المائدة/44؛ في هذه الآية التفات في مواضعَ متعدّدةٍ، ولكنّ الالتفات مِن التّكلّم إلى الغَيبَة جاءَ في مَوضعَيْن؛ الأوّل: (كِتَابِ اللّهِ) بعد (أَنزَلْنَا)، والثّاني: (أَنزَلَ اللّهُ) بعد (وَاخْشَوْنِ)، وفي كليهما ما يتّفقُ والمقامَ الخاصّ والعامّ؛ فالسّياقُ، مِن حيثُ المقامُ الخاصّ، يتعلّقُ بتعظيمِ (التّوراة) ووجوبِ مراعاةِ أحكامِها، وأنّها لم تَزل مَرعيّةً فيما بين الأنبياء، ومَن يَقتدي بِهم، لِذا قالﷻ:(أنزَلنا)[5]، ثمّ عَدلَ عن التّكلّم إلى الغَيبة(مِن كِتَابِ اللّهِ) لـ"تأكيدِ إيجابِ حفظِها –التّوراة–والعمَلِ بِما فيها"[6]. أمّا مِن حيثُ المقامُ العامُّ فإنّها تُؤكّدُ وحدةَ الرّسالةَ السّماويّة مَهما تعدّدَت الكُتب وتنوّعَت الرّسل. وكذلك في العدول عن التّكلّم (وَاخْشَوْنِ) إلى الغَيبة

---

[1] ـ انظر: السّمرقنديّ، نصر بن محمّد بن أحمد، *تفسير السّمرقنديّ*. ج/1، ص424. و: الثّعالبيّ، عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف، *تفسير الثّعالبيّ*. ج/2، ص365.

[2] ـ الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص97.

[3] ـ انظر: الطّبريّ، *تفسير الطّبريّ*. ج/8، ص262.

[4] ـ أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص31.

[5] ـ فصّل سبب نزول هذه الآية الواحديّ، عليّ بن أحمد، *أسباب نزول القرآن*. ص199 وما بعدها. ويُنظر: أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص40.

[6] ـ الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص144.

(أَنزَلَ اللّهُ) يَخرجُ السّياقُ عن دلالاتِه المقاميّة–الخاصّة بعلماءِ اليهود وأحبارِهم[1]– ليشمَلَ "كائناً مَن كان دونَ المُخاطَبين خاصّةً فإنّهم مُندرجونَ فيه اندراجاً أوّليّاً"[2]، فكُتبُ الأنبياء–عليهم السّلام– واحدةٌ في توجُّهِها وحِرصِها على مَنفعةِ الإنسان وخَلاصِه من الغيّ والضّلال وما قَد يعتري النّفس البشريّة ما لَم تُحصَّن بكلامِ الله ووصايا رُسلِهِ وأنبيائه. وعليه، فإنّ الالتفات يَنقلُ السّياقَ مِن الخاصّ إلى العامّ ليُحدثَ أثراً مُضاعفاً في جمهورِ المتلقّين مَهما اختلفَت مَذاهبهم وكُتبهم. أضف إلى ذلك فإنّ تنوّعَ البناء اللّغويّ بينَ صِيغتَي النّهي والأمر(فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ) مِن جهةٍ، وصيغَةِ المضارِع المنفيّ(لَم يَحكُم) عزّزَ دلالات الالتفات، ما جعلَه أكثر اتّساقاً وانسجاماً مع إظهارِ لفظ الجلالة(الله)، وتحوّل السّياق عن التّكلّمِ إلى الغَيبَة.

ومِن ذلك قولهﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾المائدة/45؛ عدلَ عن التّكلّم (وَكَتَبْنَا) إلى الغَيبة (بِمَا أَنزَلَ اللّهُ)، وأثرَى المُعجَم اللّغويّ دلالَة الحُكم، وذلك بوساطة لَفظيّ: الفعل(تصدّقَ)، والاسم(كفّارة). والآية استئنافٌ للآية السّابقة في بيان أحكام التّوراة، لِذا ففي صيغة التّكلّم ما يُوحي بالتّخصيص، بدلالة (عليهم)؛ أي على اليهود، ثمّ عدلَ عن التّكلّم إلى الغَيبَة ليُطلِقَ حُكماً عامّاً يُلزِمُ المُخاطَبين داخِلَ السّياقِ وخارجه، فكلٌّ مسؤولٌ عمّا جاءَ في كتابه السّماويّ، لأنّه مِن عند اللهﷻ، ثمّ استأنفَ الكلامَ للشّروعِ في بيانِ أحكام الإنجيل بعد بيان أحكام التّوراة[3]، وذلك في سياقٍ مُشابِه مِن حيثُ البناء اللّغويّ والمُعجم الدّلاليّ، وأسلوب الالتفات، وذلك في قولهﷻ:﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ *وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾المائدة/46–47، انتقلَ السّياقُ مِن صيغة التّكلّم (وَقَفَّيْنَا) إلى صيغة الغَيبة(بِمَا أَنزَلَ اللّهُ)، وكأنّه يُشدّدُ على جانبٍ محدّدٍ يخصّ الالتزامَ بأحكام اللهﷻ، كما أنّ اختلافَ التّذييل في كِلا الآيتَيْن؛ الأولى:﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، والثّانية:﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يُشعِرُ المتلقّي وجوبَ الامتثال لأوامِر الله ﷻ، ففي الإشارَةِ إلى الظّلمِ والفسق ما يُنبئُ بالوَعيدِ والعقابِ لِكلّ مَن خالفَ شرعَ الله وخرجَ على أحكامه. وبعدَ ذلك كلّه انتقلَ السّياقُ ليتّجهَ إلى السّيّد محمّدﷺ[4]، وذلك في قولهﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾المائدة/48، فـ(أنزلنا) جاءَ السّياقُ فيها على صيغةِ التّكلّم بنون العَظَمة، تحقيقاً للتّرهيبِ والكبرياء، ثمّ عدلَ إلى صيغة الغَيبَة مُظهراً لفظَ الجلالة(الله) ليستَحضِرَ في ذهن المخاطَبين الصّفاتِ الإلهيّةَ كلّها، فيَثبُتُ لديهِم أنّهﷻ يَحكُم بين المُحتكِمينَ إليه بكتابِ اللهﷻ (القرآن الكريم)؛ فهو آخر الكتب السّماويّة، وفيهِ مُجمَلُ الشّرائع، وخُلاصَة الأحكامِ، بدليل التّرتيب الّذي تقدّم في قولهﷻ:﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، ثمّ قولهﷻ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ

[1] - انظر: الطّبريّ، *تفسير الطّبريّ*. ج/8، ص455. و: الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص144.
[2] - أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص42. وانظر: التّوحيديّ، أبو حيّان، *البحر المحيط*. ج/3، ص504.
[3] - انظر: أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص43.
[4] - انظر: السّمرقنديّ، نصر بن محمّد بن أحمد، *تفسير السّمرقنديّ*. ج/1، ص441. و: الرّازيّ، *تفسير الرّازيّ*. ج/12، ص12.

الإنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾، وأخيراً قولهﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[1]. ولا يَخفَى ما في لَفظَي(الهدى) و(النّور) مِن دلالاتٍ أثْرَت السّياقَ، وبيّنَت وحدةَ الرّسالات السّماويّة.

ومن ذلك قولهﷻ في كُفّارِ اليهود الّذين أنكروا نبوّة محمّدﷺ[2]:﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾المائدة/64، والالتفاتُ واضحٌ من التّكلّم (وَأَلْقَيْنَا) إلى الغائب(أَطْفَأَهَا اللّهُ)، ولا يَخفى ما فيه مِن البلاغَة في الصّيَغِ الفعليّة؛ إذ استعمَلَ نون العظمَة تَربيةً للمهابَةِ في نفوسِ المخاطَبين، ثمّ عدلَ عنها إلى إظهار لفظ الجلالة بذاتِه ليَنفِيَ أيّة فكرةٍ أو سعيٍ في ذهن هؤلاء المُخاطَبين تدعو للانتصارِ على دِين محمّدﷺ، واللّافتُ في هذا التّركيب هو التّمايُز بينَ لَفظَي(العداوة) و(البَغضاء)؛ إذ عَزّزَ ذلك التّمايُز الدّلاليّ أثَرَ فعلِ اللهﷻ فيهم، فـ"العداوةُ المُناوأةُ الظّاهِرَةُ، والمقاومة المُعْلَنَة، والبغضاءُ هي الكراهية التي تكون في القلب"[3]. وكأنّ السّياقَ ينفلتُ مِن خصوصيّةِ قرائنه اللّفظيّة والمعنويّة ليؤكّدَ استمراريّةَ ذلكَ الدّين القيّم في كلّ زمانٍ ومكانٍ.

ومن ذلك قولهﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ* وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِن رَبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم...﴾المائدة/66؛ فالعدول في السّياقِ مِن صيغَة التّكلّم (لَكَفَّرْنَا، وَلأدْخَلْنَاهُمْ)، إلى صيغة الغيبة(مِن ربِّهم) فيه "استدعاءٌ لإيمانِهم، وتَنبيهٌ لهم على اتّباعِ ما في كتبِهم، وتَرغيبٌ لهم في عاجِل الدّنيا، وبسط الرّزقِ عليهم فيها؛ إذ أكثر ما في التّوراة مِن الوعود به على الطّاعاتِ هو الإحسان إليهم في الدّنيا...رغّبَهم في هذه الآية في مَوعود الدّنيا ليَجمعَ لهم بين خَيرَي الدّنيا والآخرة، وكان تقديمُ مَوعودِ الآخرة أهمّ؛ لأنّه هو الدّائم الباقي"[4]، كما أنّ إضافة الضّمير (هم) في أسلوبِ الالتفات(مِن ربِّهم) تُشعِرُ المُخاطَبَ بقُربِ اللهﷻ منه، وسَعَةِ مَغفرته ورحمته، فتحثّه على امتثالِ أمره، وتصديقِ رُسُله والكُتبِ الّتي أُنزِلَت إليهم. إنّ أسلوبَ الالتفات مِن التّكلّم إلى الغَيبَة يُشكّلُ خَرقاً سياقيّاً للنّصّ اللّغويّ بالنّسبةِ للمتلقّي؛ ذلكَ أنّ الانتقالَ مِن زاويةِ التّكلّم إلى زاوية الخطاب المباشر يُثيرُ السّامعَ، ويدفعهُ إلى ترقُّبِ العلاقاتِ الدّلاليّة الجديدة النّاتجة عن ذلك الانتقال، ولذلك قواعده وضوابطه الخاصّة الّتي تتطلّبُ مِن المتكلِّمِ قُدرةً بلاغيّةً تُمكِّنه مِن تسييرِ الدّلالات وُفقَ المنَحَى الّذي يُريده، وبأسلوبٍ يستطيعُ فيه أن يأسرَ السّامعَ، ويُحقّق غايته التّواصليّة مِن الحوار اللّغويّ بينه وبين المُخاطَب على اختلافِ مكانه مِن الرّسالة اللّغويّة، سواءٌ أكانَ متلقّياً مباشراً أم غير مباشرٍ.

## ثانياً: الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

وهو ثاني أنواع الالتفات من حيث كثافة الحضور في سورة المائدة، وتُدرَكُ مَقاصِدُه من خلال السّياقِ العامّ للنّصّ القرآنيّ، فتتنوّعُ بين دلالاتِ الاختصاص والتّعميم، والتّنبيه والتّرهيب، والوعد والوعيد. ومن ذلك قولهﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا

---

[1] - انظر: الرّازيّ، *تفسير الرّازيّ*. ج/12، ص14. والشّوكانيّ، محمّد بن عليّ بن محمّد، *فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية مِن علم التّفسير*. ص376.

[2] - قال الرّازيّ: "في قوله﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ قولا؛ الأوّل: المراد منه ما بين اليهود والنّصارَى من العداوة.. والثّاني: أنّ المرادَ وقوع العداوة بين فرقِ اليهود، فإنّ بعضهم جبريّةٌ، وبعضهم قدريّةٌ، وبعضهم موحّدةٌ..."، انظر: الرّازيّ، *تفسير الرّازيّ*. ج/12، ص48.

[3] - أبو زهرة، محمّد، *زهرة التّفاسير*. م/5، ص2280.

[4] - انظر: التّوحيديّ، أبو حيّان، *البحر المحيط*. ج/3، ص537.

ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾المائدة/3؛ فالالتفاتُ جاءَ من الغَيبَة (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ) إلى التّكلّم (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ)، وذلكَ ينسجمُ ومَقامَ التّحريم الّذي يقتضي ذِكْرَ الإله أوّلاً، ويتّفقُ ومَقامَ العَظمة والتّهويل الّذي استدعى التّكلّمَ طلباً لتحقيقِ الخشية الخالصة لله ﷻ، وتَمهيداً لآيةِ إتمامِ الدّين في قولهﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾، فالسّياقُ تدرّجَ مِن تحديد السّنن والفرائض إلى إكمال الدّين[1].

ومن ذلك قولهﷻ:﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ*وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾المائدة/9–10؛ فالالتفاتُ جاءَ من الغَيبَةِ(وَعَدَ اللّهُ) إلى التّكلّم (بِآيَاتِنَا)، وفي الأوّلِ استحضارٌ للطّمأنينةِ بِذكر اسم الله مُسنداً إلى الوعد، أمّا في الثّاني ففيهِ تَرهيبٌ ووعيدٌ؛ إذ عدلَ عن الاسم إلى الضّمير (نا) لينقلَ السّياقَ عن مَقامِهِ الدّاخليّ إلى مَقامٍ عامٍّ يَصدقُ في نفوسِ المُخاطَبين أنّى وُجِدوا، فآياتُ الله ﷻ لا نفادَ لها، ولا حَصرَ.

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾المائدة/12؛ فالالتفاتُ من الغَيبة (أَخَذَ اللّهُ) إلى التّكلّم (وَبَعَثْنَا) جاءَ لإظهارِ المَهابَةِ وتفخيمِ الميثاقِ أوّلاً، ثمّ عدلَ عن لفظ الجلالَةِ وأتى بـ(نا) "للجَرْيِ على سنن الكبرياءِ، أو لأنّ البعثَ كانَ بوساطَةِ موسىعليه السلام"، فالإتيان بالضّمير احتمَلَ أن يكونَ نبيّ الله موسىعليه السلام ممّن شارَكَ في الفعل، وذلكَ واضحٌ جليٌّ؛ لأنّ رسالةَ الله يُبلّغها عنه نبيّه، وفي هذا تكريمٌ للمُرسَلِ وترغيبٌ في امتثالِ أوامِرِه الصّادرَةِ عن أمر الله ﷻ[2]. ومنه قولهﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾المائدة/44، فالالتفاتُ المقصود من الآية هنا؛ عدول السّياق عن الغَيبة(بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ) إلى التّكلّم(وَاخْشَوْنِ)، وفي الغَيبَة أراد أن يُثبِتَ أنّ ما في التّوراةِ مِن عندهﷻ، لِذا لم يأتِ (بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِنها)، ثمّ استعمَل صيغة التّكلّم تأكيداً لذلِكَ وتحقيقاً لفائدةِ الاستمرارِ الدّلاليّ الخارِجِ عن السّياقِ الدّخليّ للآية، والّذي يُمكن أن يُعدّ تَمهيداً لقولهﷻ: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾، فيستَشعِرُ ذلك كلُّ المخاطَبين دونَ قيدٍ زمنيٍّ أو مكانيٍّ. ومثلُ ذلك قولهﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوقَدوا ناراً للحَرْبِ أَطفَأَهَا الله ويَسعَونَ في الأرضِ فَساداً واللهُ لا يُحبُّ المفسِدِيْن﴾المائدة/64، والمقصود هنا؛ الالتفاتُ مِن الغَيبَة (مِن رَبِّكَ) إلى التّكلّم (وَأَلْقَيْنَا)، ومُقتضى السّياق أن يأتي: (وألقَى ربُّكَ)، إلّا أنّ صيغةَ التّكلّم المعبّر عنها بالضّمير (نا) تَمنَحُ البناءَ اللّغويّ قُدراتٍ مضاعفةً تُثيرُ الرّهبَةَ والخَوفَ في نُفوسِ المُخاطَبين داخل السّياق[3]، وخارجه، فإلقاءُ البَغضاءِ

---

[1] - "يومَ نزول هذه الآية (أكمَلتُ لكم دينَكم)، يعني الفرائض والسّنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم يَنزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرامٌ، ولا شيءٌ مِن الفرائض". البَغَويّ، الحسين بن مسعود، *تفسير البغويّ(معالم التّنزيل)*. ج/3، ص13.

[2] - "رُويَ أنّ بني إسرائيلَ لمّا استقرّوا بمصرَ بعد مهلَكِ فرعون أمرَهم الله ﷻ بالمَسير إلى أريحا أرض الشّام، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيّون، وقال لهم: إنّي كَتَبتُها لكم داراً وقراراً، ..وأمرَ موسىعليه السلام أن يأخذَ مِن كلّ سبطٍ نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاءِ بِما أُمِروا به، توثقةً عليهم، فاختارَ النّقباء، وأَخَذَ الميثاقَ على بَني إسرائيل". أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص14.

[3] - قِيل: بين طوائف اليهود، كالجبريّة والقدريّة والمُرجئة وغيرِها، وقِيل بين اليهود والنّصارى. انظر: الطّبريّ، *تفسير الطّبريّ*. ج/8، ص558. و: ابن عَطيّة الأندلسيّ، عبد الحقّ بن غالب، *المحرَّر الوجيز*. ج/2، ص216.

بين أعداءِ الله إلى يومِ القيامَة يبعثُ في قلوبِ المسلمينَ بشارَات النّصر والإيمان، ويحثّهم على التّمسّكِ بكتابِهم(القرآن الكريم) وما جاءَ عن نبيّهم (محمّدﷺ).

ومن ذلك قولهﷻ:﴿فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ*وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾المائدة/85-86. وفيه عدلَ من الغيبة (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ) إلى التّكلّم (بِآيَاتِنَا)؛ فـ"بَعدَ أن بيَّنَ – سبحانه– ما أعَدَّه لِعبادِه المحسنينَ مِن عَظيمِ الثّواب جزاء صادقِ إيمانِهم، ذَكَر–هنا– جزاءَ المُسِيئِيْنَ إلى أنفسِهم بالكفران والتّكذِيْبِ؛ جَرياً على سنّة القرآن في الجمعِ بين الوَعد والوعيد"[1]، ويتّضحُ أثرُ الالتفاتِ أو العدولِ في بناء الجملة؛ فإنّه وإن استُدِلَّ باسم الإشارة (أولئك) على جَماعةٍ محدّدةٍ مِن المخاطَبين، فإنّ الأثرَ الدّلاليّ ينتقلُ إلى سياقٍ خارجيٍّ أبعد مِن المقام الّذي أُسنِدَت إليه الجملَة، ليبدوَ خطاباً عامّاً يُرهبُ ويتوعَّدُ المُضلِّينَ والمكذِّبين. أضف إلى ذلك فإنّ البناءَ النّحويّ القائم على التّغايُر بين اسمَي الإشارة(ذلك) للمحسنِيْن، و(أولئكَ) للكافِرِيْن، يُعَزّزُ فاعليّةَ الالتفات، ويُفَسِّرُ عدولَ السّياقِ عن الإضمارِ إلى الإظهار؛ إذ الإشارَةُ مع الالتفاتِ أليَق وأدلّ مِن تراتبيّة الضّمائر المُفَسَّرَةِ بالأفعال.

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾المائدة/92؛ إذ جاء الالتفاتُ من الغيبَة (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ) إلى التّكلّم (رَسُولِنَا)، وكان مُقتضى الظّاهر أن يأتي: (عليه) أو (الرّسولِ) لكنّه عدَلَ تشريفاً لنبيّ الله محمّدﷺ، وتَنبيهاً لقيامِ الحجّةِ على المُخاطَبين؛ فقد انتهَت الأعذار، وانقطَعتِ العلل، وما بقيَ بعد ذلك إلّا العِقاب[2]، أضِفْ إلى ذلك فإنّ في إضافة الضّمير (نا) ما يزيدُ السّياقَ رهبةً ووعيداً، وهو أمرٌ خَبِرَه النّاسُ معَ غيرِ رسولٍ مِن رُسُلِ اللهﷻ، ولاسيّما أولئكَ الّذينَ أنكروا نبوّتهم، فأخَذَتْهم العزّةُ بالإثم، وسبقَ أن أشارَ النّصّ القرآنيّ، في سياقٍ سابقٍ مِن السّورة ذاتِها، إلى ذلك، قالﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾المائدة/70.

إنّ الالتفات مِن الغَيبة إلى التّكلّم في سورة المائدة جاءَ لأغراضٍ بلاغيّةٍ متنوّعةٍ، أكثرها التّعظيم والتّشريف والتّكريم والتّرهيب، ويؤسّسُ الضّمير داخلَ السّياق أثراً دلاليّاً وموجّهاً رئيساً لتلك الأغراضِ ورَبطِها إمّا بالسّياق الدّاخليّ للنّصّ القرآنيّ، وإمّا بالسّياق الخارجيّ؛ إذ إنّ في صيغة التّكلّم بعد صيغة الغَيبَة ما يَحمِلُ المتلقّي على مُعايَنةِ الحالة أو الرّسالة المقصودة، وكأنّها تُوَجَّهُ إلى عموم النّاسِ، فيَسْتَشْعِرُ المتلقّي الغَرضَ وكأنّه مُوَجّهٌ إليه في كثيرٍ مِن الآياتِ الكريمة في هذه السّورة، ناهيكَ عمّا في صيغَة التّكلّم مِن إقبالٍ على السّامع/المتلقّي، وحثّه على الإصغاء وإعطائه فضلَ عنايةٍ وتَخصيصٍ.

### ثالثاً: الالتفات من الغَيبَة إلى الخطاب:

ويُشكّل هذا الأسلوب اللّغويّ تحوّلاً في معايير التّوجّه الدّلاليّ لدى المتلقّي؛ ذلك أنّ الانتقال مِن الغَيبَة إلى الخطاب يؤسّسُ علاقاتٍ ومقاصدَ بلاغيّةً تُثيرُ المتلقّي، وتسترعي انتباهه وتحثّه على معرفة الأسباب الّتي تقفُ وراء هذا التّحوّل في السّياق العامّ للخطاب اللّغويّ، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾المائدة/15، وذلكَ بعد قولهﷻ:﴿وَلَقَدْ

[1] - المراغيّ، أحمد مصطفى، *تفسير المراغي*. ج/7، ص9.

[2] - انظر: أبو حيّان الأندلسيّ، *البحر المحيط*. ج/4، ص18. و: *التّحرير والتّنوير*. ج/7، ص31.

أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾المائدة/12، فأكثرُ الالتفاتاتِ في هذه السّورةِ المبارَكةِ إمّا أن تتعلّقَ بفرقِ اليهود، وإمّا أنّها تُدخلُ مَعهم النّصارَى في إشارَةٍ إلى أنّ النّصارى مِن أهلِ الإنجيل، واليهود مِن أهل التّوراة، وتدلّ آياتُ السّورة، الممثّلةِ لهذا النّوع من الالتفات، على ذلك، قالﷻ :﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾المائدة/18، وقَد بُنِيَ السّياقُ اللّغويّ على صيغة الغَيبَة، لينتقلَ بعدها إلى صيغة الخطاب، قال ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾المائدة/19، ولا يخفى ما فِي ذلك مِن التصاقٍ للنّصّ القرآنيّ بدلالاتِ السّياق الدّاخليّ، ففيه "التفاتٌ إلى خطابِ الفَريقَيْن، على أنّ الكتابَ جنسٌ شاملٌ للتّوراةِ والإنجيل، إثر بيانِ أحوالِهما مِن الخيانَةِ وغَيرِها من فنون القبائح، ... وإيرادهم بعنوان أهليّةِ الكتاب لانطواءِ الكلامِ المُصَدَّرِ به على ما يَتَعَلَّقُ بالكتاب، والمبالغةِ في التّشنيع، فإنّ أهليّةَ الكتابِ مِن موجباتِ مراعاتِه، والعمل بمقتضاه، وبَيانِ ما فيه مِن الأحكام"[1]. وقد أثرَى المُعجم اللّغويّ استشعارَ المتلقّين أهميّة تلك الأحكام بوساطَةِ لَفظَي(بشيرٌ) و(نَذيرٌ)، وما فيهما مِن دلالاتِ الوَعدِ والوعيد. والحقّ أنّ السّياقَ القائمَ على صيغة الغَيبة هو الأجدر بأن يُحدّدَ المَقصودَ مِن صيغة الخطاب المبنيّة على أسلوب النّداء بـ(يا أهلَ الكتاب)، قال الآلوسيّ(ت1270هـ) في هذه الآية[2]:" (يا أهلَ الكتاب): تكريرٌ للخطابِ بطريقِ الالتفاتِ ولطفِ الدّعوة، وقيل: الخطابُ هنا لليهود خاصّةً". إلى جانبِ ذلك فإنّ كتبَ أسباب النّزول تزيدُ هذا الأسلوبَ وضوحاً في ذهن المتلقّي، إلّا أنّها لا تَمنعُ مَقاصِدَ التّرغيبِ أو التّرهيبِ مِن الخروجِ على سياقِها الدّاخليّ ليبدوَ النّصّ القرآنيّ وكأنّه موجّهٌ لجمهورِ المتلقّين على مبدأ التّعليمِ والتّفهيم والعِبَر مِن قَصص الأوّلين.

## رابعاً: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

إنّ مقتضى الخطاب هو أن يسيرَ المتكلّمُ في حواره على أسلوبٍ واحدٍ مُستعملاً ضمير المتكلّم أو ما يتّصل به مِن أنواع الكَلِم في اللّغة العربيّة، إلّا أنّ مُقتضياتٍ أخرى قَد تطرأ على تلك الرّسالة فتدفعُ المرسِلَ إلى التّنويع في أسلوبه، والعدول أو التّحوّل عنه إلى أسلوبٍ آخر قد يُحدثُ أثراً مُضاعفاً في المتلقّي، ولعلّ قصد التّوضيح، وتحقيق الوظائف اللّغويّة للخطاب القرآنيّ هو أهمّ تلك المقتضيات الّتي تؤدّي إلى الانحراف أو العدول الأسلوبيّ من الخطابِ إلى الغَيبة، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾المائدة/11، جاء الالتفاتُ مِن صيغة الخطابِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ) إلى الغَيبة (فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)، وكان مُقتضى الظّاهر أن يأتي: (فتوكّلوا)؛ إلّا أنّ إظهارَ لفظ (المؤمنون) يُعمّقُ الإحساسَ بصفاتِ الإيمانِ في نفوسِ المخاطَبين، ويمنَحُ مَن خُصَّ بتلكَ الصّفاتِ نداءَ الله ﷻ، ووجوبَ النّعَمِ والرّحمة، كما أنّه يؤسّسُ أسلوبَ تَذييلٍ يستشعرهُ الجمهورُ ممّن يُؤمنُ بعَظَمةِ الله وواسعِ قدرته وعظيمِ سلطانهﷻ، فعليهم"أن يعتمدوا عليه في جَلبِ مصالِحهم الدّينيّة والدّنيويّة، ويَتَبَرَّؤوا مِن حَولِهم وقوَّتِهم،

[1] - أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص17 وما بعدها. و: ابن كثير، إسماعيل عماد الدّين، *تفسير القرآن العظيم*. ج/5، ص139.
[2] - الآلوسيّ، *روح المعاني*. ج/6، ص103.

ويَثقوا بالله تعالى في حصولِ ما يُحبّون، وعلى حسب إيمانِ العَبدِ يكون توكّله، وهو مِن واجبات القلبِ المُتّفَقِ عليها"[1].

ومنه قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾المائدة/40، والخطابُ "للنّبيّﷺ وغيرِه؛ أي: لا قَرابَةَ بين الله –تعالى– وبين أحدٍ توجِبُ المُحاباة"[2]، والبناءُ النّحويّ بدأ بأسلوب الاستفهام الإنكاريّ لتقريرِ ذلك الأمرِ، والمراد به الاستشهاد بذلك على قُدرتهﷻ[3]، والعدولُ إلى إظهار لفظ الجلالة يتّفقُ والمقَامَ الخارجيّ للسّياق، والدّاعي إلى التّرهيب والتّرغيب في تأمّلِ قُدرة الله تعالى، وعظيمِ أمرِه ورسالته.

ومنه قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾المائدة/41، والالتفاتُ المقصود هو عدول السّياق عن الخطاب (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) إلى الغَيبةِ (وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ)، تأكيداً لاستحقاقِهم العذاب، وتثبيتاً لقَطعِ الرّجاءِ مِنهم، فهم "الّذينَ سبقَ لهم في عِلمِهﷻ ألّا يطهّرَ قلوبهم، وأن يكونوا مُنَسّينَ بالكفر"[4].

ومنه قوله ﷻ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾المائدة/51؛ إذ عدلَ من الخطابِ (يا أيّها الّذينَ آمَنُوا) إلى الغَيبَة (إنّ الله)، ولا يَخفَى ما في ذلك مِن تحقيقٍ لاستقلاليّةِ المعنى، وانفتاح دِلالات السّياق الّذي يُصبِحُ تذييلاً يَقرعُ أُذُنَ المُخاطَبين، ويُلينُ قلوبَهم رغبةً ورهبةً كلٌّ حسبَ تأثّره، واستعداده.

ومنه قولهﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾المائدة/68، جاء الالتفات من صيغة الخطاب (يا أهلَ الكتابِ) –اليهود والنّصارى– إلى صيغة الغَيبة (كَثِيراً مِنْهُم)، ومُقتضَى الظّاهر (كثيراً منكم)؛ وذلك أكثر انسجاماً ومَقامَ الإخبار، ففيه تَمهيدٌ للتّذييلِ الّذي ألصَقَ بِهم أعلى درجات الإعراض والتّكذيب (فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، ولم يأتِ: (فلا تأسَ عليهم)، بَل وضعَ المُظهَر مَوضع المُضمَر للتّسجيلِ عليهم بالرّسوخ في الكفر والضّلال، فمثل ذلك منهم عادةٌ وخُلُقٌ في أنبيائهم، فكيفَ في خاتم النّبيّين محمّد ﷺ[5].

يُشكّل أسلوب الالتفاتِ مِن الخطابِ إلى الغَيبة واحداً مِن أساليب اللّغة الهادِفَة، وهو إذ يَخرجُ على مُقتضى الظّاهر فإنّه يُبنى على ما يُخالفُ ذلكَ المقتضى ملتمساً توضيح الدّلالات والمقاصد الخطابيّة أوّلاً، وتكثيف قدرات اللّغة وربطها بالسّياق العامّ(اللّغويّ، الزّمانيّ، المكانيّ،...) ثانياً، كما أنّ القصدَ أو الإبلاغَ يَظهرُ مِن خلال استخدام لفظٍ ينسجم وسياقاتٍ سابقةً تتخلخلُ فيما بينها لتُنتِجَ سياقاً فاعلاً ومؤثّراً داخلَ الخطاب اللّغويّ، ولعلّ أهمّ ما يُميّز هذا النّوع من الالتفات هو دقّة وصف المقال للمقام، "وفكرةُ المقام هي أساس ما يُسمّى في ميدان الدّراسات اللّغويّة

---

[1] - السّعديّ، عبد الرّحمن بن ناصر، *تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان*. ص246.

[2] - القُرطبيّ، محمّد بن أحمد أبو عبد الله، *الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لِما تضمّنَه مِن السّنّة وآي الفرقان*. ج/7، ص474.

[3] - أبو السّعود، تفسير أبي السّعود. ج/3، ص36.

[4] - الثّعالبيّ، عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف، *تفسير الثّعالبيّ*. ج/2، ص384.

[5] - انظر: الطّبريّ، *تفسير الطّبريّ*. ج/8، ص574. و: أبو السّعود، *تفسير أبي السّعود*. ج/3، ص62.

المعاصرة علم الدّلالة الوصفيّ، وهي كذلك المحور والجوهر لِما يُسمّى نظريّة التّواصل، وفكرةُ سياق الحال هي المركز الّذي يدور حوله علم الدّلالة الوصفيّ، وهو الأساس الّذي يُبنى عليه النّسق"[1]، وفي ذلك السّياق العامّ للمقام والمقال لا يكون العدولُ عن المخاطب إلى الغائب عدولاً عشوائيّاً أو غامضاً؛ بل ينتقلُ الخطابُ بسلاسةٍ وقصديّةٍ تهدفُ لإيصال غايةٍ بلاغيّةٍ وصفيّةٍ إلى المتلقّي، ويقومُ الإيقاعُ الدّاخليّ والخارجيّ لذلك التّبادل برسم مشاهد الملتَفَتِ إليه الجديد، والبحث في أثره الدّلاليّ داخل سياقه، وفي السّياقات الّتي مهّدَ لحضورها في الخطاب اللّغويّ الخارج عن مقتضى الظّاهر.

## الاستنتاجات والتّوصيات:

يُمَثِّلُ الالتفاتُ علامةً فارقةً في الأسلوبِ والحوارِ اللّغويّ المُجدي؛ ذلك أنّ تَنويعاتِه الخطابيّة تَكسِرُ السّائدَ وتَخرقُ مُقتضى اللّغة الظّاهر لتجذبَ المتلقّي إلى مَعنًى محدّدٍ دونَ غَيرِه، وذلكَ الخَرق يتطلّبُ قُدرةً بلاغيّةً لا تتأتّى إلّا لِمَن خَبِرَ العربيّةَ وأدرَكَ أفانينها الغَنيّة، ولذلكَ لُقِّبَ الالتفاتُ بـ(شجاعةِ العربيّة)؛ أي: إنّ بُلغاء العربيّة كانت لديهم القدرة والمَوهبة والشّجاعة على التّنقّل بين طُرقِ الكلام الثّلاثة(التّكلّم، الخطاب، الغائب) دونَ أن يُنقِصَ ذلك بلاغة الكلامِ، بل على العَكس مِن ذلك، فإنّهم بالالتفاتِ يَضعونَ الدّلالاتِ مَوضعها مِن أغراضِهم البلاغيّة المُراد إيصالها إلى جمهور المتلقّين. إنّ دراسة الالتفات أو العدول الأسلوبيّ في اللّغة يضعُ الباحثَ أمامَ مشاهدَ حركيّةٍ تُشبِهُ إلى حدٍّ كبيرٍ المشاهدَ التّصويريّة المرئيّة، وكأنّ الالتفات هو الآلة الّتي تلتقطُ تلكَ المشاهد الحركيّة، فيَنقُلُ لنا زاوية الرّؤية وُفقَ المتطلّبات التّأثيريّة لتلكَ المشاهد، وعليه فإنّ مَوضع اهتمام الالتفات هو المتلقّي وطريقة إيصال المعاني إليه بحِرَفيّةٍ تسترعي انتباهه، وتأسر أفقَ التّوقّع لديه. وفي سورة المائدة تنوّعاتٌ أسلوبيّةٌ في فنّ الالتفات استطاعت أن تُحقّقَ أغراضها البلاغيّة في جذب الانتباه، تَعظيماً أو توبيخاً لمدلولاتِ الخطاب ومُقتضياتِ المَقام، وغيرُ ذلك مِن المقاصد الإلهيّة الّتي أرادَ الله–سبحانه– إيصالها إلى عباده أجمعين.

ولعلّ أهمّ ما يُميّز فن الالتفات في سورَةِ المائدة، وفي غَيرِها مِن السُّوَرِ الكَريمة، ما يأتي:

1– خروجُ الكلام على مُقتضى الظّاهر تَنبيهاً لحُكمٍ مِن الأحكام أو لأمرٍ مِن الأمور الّتي يُريدُ النّصّ القرآنيّ إيصالها إلى جمهور المتلقّين، ويُعَبَّرُ عن ذلك بسياقٍ داخليٍّ يُنبِئُ عن سياقٍ آخر خارجيٍّ، ربّما كان أكثر خصوصيّةً عند ذلك الجمهور.

2– أسر المتلقّي وجذب انتباهه إلى مَعرفةِ الأسباب الكامنةِ وراءَ التّخلخل الأسلوبيّ في قواعد الحوار.

3– كَسرُ أفق التّوقّع لدى المتلقّي عبر العدول أو التّنوّع في مَواقع الإرسال اللّغويّ لصِيَغِ الحوار مِن تكلّمٍ وخطابٍ وغَيبَةٍ.

4– تحقيقُ أغراضٍ بلاغيّةٍ متنوّعةٍ بأسلوبٍ مُوجَزٍ كالتّعظيمِ والتّكريم، أو التّقريع والتّوبيخ، وغَيرِها ممّا يدلّ على مقامِ الإيجابِ أو السّلب.

[1]- **جاد طبل، د. حسن، *علم المعاني في الموروث البلاغيّ تأصيل وتقييم*، ص18. ويُنظر: حميد خضيّر، عليّ، *دلالة السّياق في النّصّ القرآنيّ*. ص46.**

5- التّنوع الأسلوبيّ الّذي يُبعدُ المتلقّي عن المَلَلِ والتّوهّم، والسّعي الحثيث لمتابعة دلالات تلك التّنوّعات وأغراضِها البلاغيّة.

6- ربط الالتفات بالسّياق الدّلاليّ للنّصّ القرآنيّ؛ ذلك أنّه يَكتنزُ على قوًى وطاقاتٍ تعبيريّةٍ لا يحكمها إلّا سياق النّصّ، فقد يَجتمعُ النّوعُ الواحد منه-كالالتفات مِن الخطاب إلى الغَيبة مثلاً- لِتَعظيم شأن المخاطَب، ومِن ثمّ يكون ذلك النّوع نفسه للتّوبيخ؛ لذا فإنّ للسّياق وظيفته المهمّة في تَوجيه دلالات الالتفات المتنوّعة.

7- يُظهِرُ الالتفاتُ تَبايُناً بين الألفاظِ ودِلالاتِها الطّبيعيّة(المُعجميّة)، وبين المعاني المتعلّقة بتلكَ الألفاظ في سياقٍ نصّيٍّ منسوجٍ لغويّاً، فالتّنقّلُ في أساليبِ الحوارِ يَمنحُ كُلّاً منهما(الألفاظ والمعاني) طاقاتٍ تعبيريّةً تُعَزّز حضورَ القَصدِ البلاغيّ في ذهن المتلقّي.

ويبقَى للخطاب القرآنيّ ما يُميّزه مِن غَيرِه، فلأساليبِه اللّغويّة ونُكَتِه البلاغيّة أسرارٌ أُلّفَت فيها مُجلّداتٌ، وما تزال، وذلك كلّه يُؤكّدُ سموّ هذا الخطاب الّذي يُعدّ بيئةً خصبةً لجمهور المتلقّين، والبلاغيّين من النّحويّين والمفسّرين، وغيرهم.

## المصادر والمراجع:


القرآن الكريم.

1- ابن الأثير، ضياء الدّين- *المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر*. قدّمه وعلّق عليه: د. أحمد الحوفيّ، د. بدويّ طبانة، دار نهضة مصر، مصر، ط/2، (د. ت). ق/2، 392.

2- ابن المعتزّ، عبد الله- *كتاب البديع*. علّق عليه: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، لبنان، ط/3، (1402هـ-1982م). 195.

3- ابن جرير الطّبريّ، أبو جعفر محمّد- *تفسير الطّبريّ جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، د. عبد السّند حسن يمامة، مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة بدار هَجَر، مصر، ط/1، (1422هـ-2001م). ج/8، 768.

4- ابن جعفر، قُدامة- *نقد الشّعر*. تح: محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط/1، (د. ت). 217.

5- ابن عاشور، محمّد الطّاهر- *تفسير التّحرير والتّنوير*. الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، (1984م). ج/6، 299.

6- ابن فارس، أحمد أبو الحسين- معجم *مقاييس اللّغة*. تح: د. عبد السّلام هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر، مصر، ط/1، (1399هـ-1979م). ج/5، 4886.

7- ابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل- *تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن كثير)*. تح: مصطفى السّيّد محمّد، محمّد فضل العجماويّ، محمّد السّيّد رشاد، عليّ أحمد عبد الباقي، حسن عبّاس قطب، مؤسّسة قرطبة، مصر، ط/1، (1421هـ-2000م). ج/5، 434.

8- ابن منظور الإفريقيّ، جمال الدّين محمّد بن مكرم- *لسان العرب*. دار صادر، لبنان، ط/1، (د. ت). م/2، 646.

9- ابن وهب الكاتب، إسحق بن سليمان– *البرهان في وجوه البيان*. تح: د. حفني محمّد شرف، مطبعة الرّسالة، مصر، (د. ت). 419.

10- أبو السّعود، محمّد بن محمّد العماديّ – *تفسير أبي السّعود المسمّى إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم*. دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان، (د. ت). ج/3، 312.

11- أبو حيّان الأندلسيّ، محمّد بن يوسف– *تفسير البحر المحيط*. تح: عادل أحمد عبد الموجود، د. أحمد النّجوليّ الجمل، قرّظه: أ. د. عبد الحيّ الفرماويّ، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط/1، (1413هـ–1993م). ج/3، 552.

12- الأجهوريّ، عطيّة بن عطيّة – *إرشاد الرّحمن لأسباب النّزول والنّاسخ والمنسوخ والمتشابِه وتجويد القرآن*. اعتنى به: أبو الفضل الدّمياطيّ، وأحمد بن عليّ، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط/1، (1420هـ–2009م). م/1، 417.

13- الآلوسيّ، أبو الفضل شهاب الدّين السّيّد محمود البغداديّ– *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني*. إدارة الطّباعة الأميريّة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، (د. ت). ج/6، 218.

14- الباقلّانيّ، أبو بكر محمّد بن الطّيّب– *إعجاز القرآن*. تح: السّيّد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط/1، (د. ت). 396.

15- جاد طبل، د. حسن – *علم المعاني في الموروث البلاغيّ تأصيل وتقييم*. مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر، (2004م). 202.

16- جاد طبل، د. حسن– *أسلوب الالتفات في البلاغة العربيّة*. دار الفكر العربيّ، مصر، ط/1، (1418هـ–1998م). 233.

17- جرير– *ديوان جرير*. شرح: محمّد بن حبيب، تح: د. نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، مصر، ط/3، (د. ت). 1270.

18- الحاتميّ، محمّد بن الحسن– *حلية المحاضرة في صناعة الشّعر*. تح: د. جعفر الكتانيّ، دار الرّشيد للنّشر، العراق، (1956م). ج/1، 452.

19- حسّان، د. تمّام– *الأصول دراسة أبستيمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب النّحو–فقه اللّغة–البلاغة*. دار الثّقافة، المغرب، ط/1، (2009م). 351.

20- الحسينيّ الزّبيديّ، محمّد مرتضى– *تاج العروس من جواهر القاموس*. تح: مصطفى حجازيّ، راجعه: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط/1، (1393هـ–1973م). ج/5، 602.

21- خضيّر، علي حميد – *دلالة السّياق في النّصّ القرآنيّ*. الأكاديميّة العربيّة في الدّانمارك، (1435هـ–2014م). 159.

22- الرّازيّ، محمّد فخر الدّين بن ضياء الدّين– *تفسير الفخر الرّازيّ المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتح الغيب*. دار الفكر للطّباعة والنّشر، لبنان، ط/1، (1401هـ–1981م). ج/11، 247.

23- الزّمخشريّ، محمود بن عمر– *الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل*. تح: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرّياض، السّعوديّة، ط/1، (1418هـ–1998م). ج/2، 604.

24- الزّمخشريّ، محمود بن عمر– *أساس البلاغة*. تح: محمّد باسل عيون السّود.دار الكتب العلميّة، لبنان، ط/1، (1419هـ–1998م). ج/1، 671.

25- السّكّاكيّ، يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب – *مفتاح العلوم*. ضبطه وكتب هوامشه وعلّقَ عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط/2، (1407هـ–1987م). 628.

26- الصّابوني، محمّد عليّ– *صفوة التّفاسير(تفسير للقرآن الكريم جامع بين المأثور والمعقول، مستمَد مِن أوثق كتب التّفاسير، الطّبريّ، الكشّاف، القرطبيّ، الآلوسيّ، ابن كثير، البحر المحيط، وغيرها)*. دار القرآن الكريم، لبنان، ط/4، (1402هـ–1981م). م/1، 608.

27- الصّعيديّ، عبد المتعال – *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*. مكتبة الآداب، مصر، (1420هـ–1999م). ج/1، 185.

28- عبد المطّلب، د. محمّد – *البلاغة والأسلوبيّة*. المكتبة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، ط/1، (1994م). 392.

29- العسكريّ، أبو هلال– *كتاب الصّناعتَين*. تح: محمّد عليّ البجّاويّ، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، مصر، ط/2، (د. ت). 461.

30- العلويّ، يحيى بن حمزة بن عليّ – *الطّراز*. تح: عبد الحميد هنداويّ، المكتبة العصريّة، لبنان، ط/1، (1433هـ–2002م). ج/2، 212.

31- القزوينيّ، جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن– *الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع*. وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط/1، (1424هـ–2003م). 415.

32- القيروانيّ، ابن رشيق– *العمدة في محاسن الشّعر وآدابه*. تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، ط/5، (1981م). ج/2، 328.

33- المبرّد، محمّد بن يزيد– *الكامل في اللّغة والأدب*. تح: عبد الحميد هنداويّ، وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، السّعوديّة، (د. ت). م/3، 334.

34- معمر بن المثنّى، أبو عبيدة – *مجاز القرآن*. عارضه بأصوله وعلّق عليه: د. محمّد فؤاد شزكين، مكتبة الخانجيّ، مصر، (د. ت). ج/1،ص172و466.

35- الميدانيّ، عبد الرّحمن حسن حبنّكة– *البلاغة العربيّة أسسُها وعلومها وفنونها*. دار القلم، دمشق، ط/1، (1416هـ–1996م). ج/1، ص 608.

36- الكفويّ، أيّوب بن موسى الحسينيّ أبو البقاء– *الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة*. قابله على نسخة خطّيّة وأعدّه للطّبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمّد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط/2، (1419هـ–1998م). ص296.

37- العسكريّ، الحسن بن عبد الله أبو هلال– *الفروق في اللّغة*. حقّقه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط/1، (1422هـ–2002م). ص470.

38- أبو زهرة، محمّد– *زهرة التّفاسير*. مجمع البحوث الإسلاميّة، الأزهر، دار الفكر العربيّ، مصر، (د. ت)، م/5، ص2280.

39- ابن صالح الشّايع، د. محمّد بن عبد الرّحمن– *الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم*. مكتبة العبيكان، الرّياض، السّعوديّة، ط/1، (1414هـ–1993م).

40- ابن كثير، إسماعيل عماد الدّين أبو الفداء– تفسير القرآن العظيم. تحقيق: مصطفى السّيّد محمّد، محمّد فضل العَجماويّ، محمّد السّيّد رشاد، عليّ أحمد عبد البلاقي، حسن عبّاس قطب. مؤسّسة قرطبة، جيزة، مصر، ط/1، (1421هـ–2000م). م/5، ص139.

41- المراغيّ، أحمد مصطفى– تفسير المراغيّ. شركة مكتبة ومطبعة البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر، ط/1، (1365هـ–1946م). ج/7، ص9.

42- القُرطبيّ، محمّد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله– الجامع لأحكام القرآن وما تَضَمّنه مِن السُّنَّةِ وآي الفُرقَان. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، وشارك في تحقيق هذا الجزء(7): محمّد رضوان عرقسوسيّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط/1، (1427هـ–2006م). ص474.